فلنكسر جدار الصمت

في ظل الاقتتال الداخلي، وصور القتل والخراب التي يزرعها في الأراضي الفلسطينية، تصبح الحوادث الاخرى وكأنها هامشية، لا ينطق بها احد. "البيدر" حاول كسر جدار الصمت، عبر سرد قصصا مختلفة، تبين ان الهم الفلسطيني يتجاوز صراعا على سلطة او منصب.

مظفر الفلسطيني في العراق خرج ولم يعد

مظفر حمدان شاب فلسطيني يسكن منطقة البلديات، أكبر تجمع للاجئين الفلسطينيين في العراق، بتاريخ 1/12/2006 الساعة الخامسة مساء خرج من حارته باتجاه محل قريب لا يبعد اكثر من 100 متر لشراء حاجيات. مسلحون كانوا بالمكان، شاهدوه، وصرخ أحدهم: "هذا فلسطيني" حسب ما أفاد شهود عيان من بعض المحلات القريبة، قبل أن يهجموا عليه ويحاولوا ارغامه على صعود سيارتهم. مظفر قاومهم واستمر بالاشتباك معهم بالأيدي رغم انهم أطلقوا عليه طلقتين في ساقه، وبعد أن يئسوا منه قتلوه بثلاثين طلقة، ما أدى إلى مقتله وتشوه جسده خاصة في منطقة الرأس.

ضابط أميركي: "ما الذي يبقيكم في هذا البلد"؟!

وقد رفض مركز شرطة الرشاد القريب من المجمع تسليمهم الجثة، بدعوى الإجراءات، فقام احد أعمام المغدور بالاتصال بصديق له عراقي يعمل في قاعدة أميركية، وقص عليه ما جرى، فقال له: دعني أتصرف، فاتصل بعد لحظات وقال له: الآن توجد دورية أميركية تتجه إلى مركز الرشاد لإتمام اللازم ومعهم المترجم فلان، وبالفعل وصلت الدورية ونزل الضابط الأميركي ورأى مشهد الفقيد وتأثر، وسأل عمه: لماذا قتلوه؟ فأجاب: لأنه فلسطيني، فقال الضابط الأميركي: وما الذي يبقيكم في هذا البلد؟ فأجاب العم: لقد اتصلنا بجهات عديدة من ضمنها الأميركان ووعدونا ولا يوجد تطبيق، فقال له الضابط: لا تعتمد على أحد، فلن يقوموا بعمل شيء لكم، قم بتزوير جواز واخرج من البلد، ثم تكلم الضابط مع مسؤول المركز الذي احضروه من البيت كي يسلمهم الجثة، فقال له: لا أستطيع، إنها الإجراءات يجب أن يذهب إلى الطب العدلي، فقال له: حسنا اذهب به إلى الطب العدلي، لكن إن جرى لأحدهم شيء أنت تتحمل المسؤولية؟ قال: نعم، وبالفعل استلموه بعد يوم من الطب العدلي بسهولة.

أبو علاء صاحب مصنع خياطة لا يستطيع تأمين حليب أطفاله!

يقول أبو علاء صاحب مصنع للخياطة: قبل الاوضاع الحالية كنا نشتغل بشكل جيد، كنت شريكا انا واخي واختي في مصنع الخياطة الذي كان يعمل فيه اكثر من 20 عاملا ويصدر انتاجه الى اسرائيل، ضربت صناعتنا في البداية بسبب اغراق السوق بالمنتج الصيني، فتم تقليص عدد العمال الى النصف لكن بقي الوضع ممكنا ومقبولا، اما الان وبعد الاغلاق اضطررت الى اغلاق مصنعي بالكامل، فتوقف دخلي ودخل اخي واختي ودخل اكثر من 10 عمال كانوا يستفيدون من المصنع.

ويضيف: اعمل حاليا سائق تاكسي ولا احصل على اكثر من 25–20 شيقلا يوميا، في حين انني احتاج الى مبلغ 35 شيقلا فقط لشراء حليب لاطفالي الثلاثة التوائم.

ويتابع: لدي عشرة ابناء اصرف عليهم بالعافية وكلهم في المدارس ويحتاجون الى مصروف.. حتى حين اتوجه الى نقابة الخياطين لمساعدتي لا اتمكن من الحصول على فرصة العمل على بند البطالة او الاستفادة من خدماتها باي شكل، لانني مسجل كصاحب عمل ولست عاملا، وما زلت ملاحقا بالضرائب، رغم ان المصنع مغلق منذ عام، علامَ ادفع ضريبة اذا كنت لا اعمل اصلا؟ كما انني ملاحق بقضايا رفعها العمال الذين كانوا يعملون عندي، رغم انني سددت كامل مستحقاتهم ووقعت معهم عقود مخالصة لدى محام.

وعن توجهه لجمعية اصحاب مصانع الخياطة قال أبو علاء: حين يتم اصدار تصاريح أستثنى من ذلك، لان فيها محسوبيات فحين ذهبت الى الجمعية وقابلت مسؤولها وقررت رفع شكوى رسمية بهذا الشيء، نصح السكرتير ألا افعل ذلك حتى لا يعملوا ضدي.

ويعلق: هنا لا يمكن للانسان ان يعيش الا اذا كان ابن حزب او تنظيم، ما دون ذلك يمكن ان يموت من الجوع، وهذا ما يحصل معي، انني اضطررت لضيق الحال ان اطبخ على الحطب.

ويدعو أبو علاء الناس للضغط على الحكومة والرئاسة للخروج من هذا الوضع "الذي اوصلونا اليه، لا ان يبقى كل واحد متضررا، شو يعني بدهم يعملوا؟ بدهم يطخونا مثل ما طخوا غيرنا؟ «شو هالحياة؟ لا كهربا ولا مياه ولا شغل ولا راحة نفسية ولا امن ولا امان ولا اشي».

بيته محاذ للمستوطنة.. ولن يرحل!

سميح دعنا، مواطن من الخليل، بيته محاذ تماما لمستوطنة "كريات اربع"، يقول: "نحن صامدون، رغم اننا عرضة لهجوم المستوطنين اليومي الهادف الى ترحيلنا. الارض الواسعة المحيطة ببيتنا تمت مصادرتها دونما بعد دونم، عرضوا بيع الارض على جدي وابي وعليّ، مقابل مبالغ خيالية، ولكننا رفضنا، ارضنا تقع على حدود المستوطنة، وتحمي الاراضي الواقعة خلفها، ان تنازلنا عنها ستزحف المستوطنة لتبتلع الباقي".

ويضيف: "في عام 1996 حرقوا البيت كاملا باثاثه، اخي نايف اصيب، وقضى 18 يوما بالمستشفى، في بداية 2004 صادروا باقي الارض غير المبنية، وقرروا هدم البيوت، ولكن محامينا وكلناه نجح بتجميد القرار".

أما عن الاقتتال الداخلي فيقول دعنا: "هو مسألة مؤلمة، اننا نقاوم وهم يقتتلون، يجب ان يعمل كل فلسطيني باتجاه توحيد الجهود ضد الاحتلال، لا يوجد شيء اسمه فتح وحماس، يمكن ان أكون فتح واخي حماس".

خريج يبحث عن عمل.. قصة مألوفة

عبد الرؤوف (26 عاما) يقول: "تخرجت في جامعة بيرزيت من أحد فروع كلية الهندسة، الان أبحث عن عمل. ولا يوجد هناك أي أفق لايجاد فرصة عمل في هذه الظروف الصعبة، حتى إنني لا أستطيع توفير المصروف اليومي البسيط. كما أنني مطالب بتسديد مبالغ مالية للجامعة، وتوفير ايجار السكن. كما أنني مطالب ببعض الالتزامات المالية من قبل عائلتي التي تسكن في مخيم النصيرات في غزة. كل هذه التوترات الناتجة عن ظروفي الشخصية تعمل على تقييدي بشكل كامل.

ويصف عبد الرؤوف الاقتتال الداخلي بالصراع المؤسف: "حتى إنني أحيانا لا أستطيع أن أتخيل أننا قد وصلنا إلى هذه المرحلة. إن حياتنا محاطة بالمصائب من الاحتلال بالإضافة إلى مصائبنا اليومية، هذا الصراع لا يحسن شيئا ...بل "يزيد الطين بلة" ويدفعنا إلى الحضيض.

بالنسبة للحل، أرى أنه يجب تشكيل هيئة تضم كل التيارات والفصائل الفلسطينية، وهذه الهيئة تكون مكلفة بحل الصراعات الداخلية وتكون مكلفة قضائيا بمقاضاة أي جهة تضر بالمصالح الوطنية".

أم البراء: الأطفال بدأوا يرون حسرتهم بعيونهم

أم البراء (27عاما) ربة منزل من بيت حانون تقول: "لا أحد ينكر أن الاحتلال له أثره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، حيث تقطعت الأوصال بين المناطق بسبب الحواجز السرطانية لجيش الاحتلال، فحالت دون الزيارات الاجتماعية، حتى إن الأشخاص لم يستطيعوا زيارة أرحامهم بسبب الأوضاع الاقتصادية، وكثرت المشاحنات في البيت الواحد بسبب ضيق الحال ما اضطر الزوج أن يتدخل في إدارة المطبخ بسبب النقص الحاد في دخل البيت.

وتضيف: أثر انقطاع الراتب على الحياة الاقتصادية، حيث قطع المصروف اليومي عن الأطفال حتى بدأوا يرون حسرتهم بعيونهم، وقد تقلص شراء الحاجيات المنزلية حتى أصبحت تقتصر على الحاجيات الأساسية وبكمية اقل، حتى في مواسم الأعياد وبدء العام الدراسي الجديد، فلا نستطيع شراء ملابس أو ألعاب للأطفال لإدخال البهجة على قلوب أطفالنا الذين طالما عبرت دموعهم عن أمانيهم غير الملباة التي تتمثل بأبسط الأشياء التي تسعدهم.

العامل الأشد خطورة هو الفلتان الأمني الذي انتشر كالسم في عروق هذا الوطن، ما أدى إلى خشيتنا وخوفنا على أبنائنا بمجرد خروجهم من باب المنزل حتى لو بغرض اللهو، خوفا من اقتتال مفاجئ هنا أو هناك.

أما عن رأيها في الوضع الحالي فقالت: أرى أن تحقيق الوحدة الوطنية ووحدة الدم الفلسطيني هي السبيل للخروج من هذه الأزمة، وابتعاد أبناء هذا الشعب عن التعصب الحزبي والعائلي، واقتصاديا يجب أن يتم استيعاب الشباب الخريجين العاطلين عن العمل وتحقيق التكامل والتكافل الاجتماعي بين أبناء المجتمع الواحد".

حرب العشائر!

عمران الرشق

لنقولها وبصراحة، ما يجري في الساحة الفلسطينية بات تدريجيا يتجاوز النزاع بالسلاح بين الفصيلين الكبيرين، إلى ما هو أسوأ من ذلك بكثير: حرب ضروس بين عائلات وعشائر، تسعى ودون هداوة إلى الثأر لقتلاها وجرحاها.

فالأزمة توسعت بشكل مربك، حتى بتنا نسمع أن إحدى العائلات تهاجم فصيلا أو عائلة أخرى، فيما ترد الأخرى بمهاجمة العائلة أو الفصيل المعتدي، على خلفية الاشتباك بين فتح وحماس، والحوادث آخذة بالازدياد.

وفي هذه الفتنة، لا تصلح قاعدة "الزم بيتك واحفظ لسانك وخذ بما تعرف ودع عنك ما تنكر وعليك بخاصة أمر نفسك ودع عنك أمر العامة"، فما يجري يمتد ليبتلع المجتمع بأسره، وبشكل مضطرد، يتجاوز مقاتلين تعميهم الفصائلية عن رؤية صراع السلطة والنفوذ، إلى أطفال ونساء ورجال أبرياء، يصطادهم الرصاص الطائش في البيوت والحوانيت والمدارس والشوارع.

وهكذا يدخل الصراع دائرة مفرغة من القتل والقتل المضاد، فالخصومة لا يمحوها اتفاق سياسي يُرضي غرور القادة وشغفهم بالسلطة، فمن ينسى ثأر أبيه أو أمه أو أخيه، حتى ولو امتدت فترة هذا الثأر سنوات طويلة؟ ومن منا لا يعرف المثل الشعبي "البدوي أخذ بثأره بعد أربعين سنة وقال استعجلت".

وفي مجتمع يعود فيه الإنسان عدوا لأخيه الإنسان، ويأكل فيه القوي الضعيف لا مكان للقانون ولا حاجة له، طالما أنه يمنع اقتراف المزيد من الجرائم. ولا يصبح مستغربا أن يخرج شاب غزي مهما كانت درجة تعليمه وثقافته، ليتفاخر بما تملكه عائلته من بنادق وقذائف، "تفزع" بها له إذا ما مسه أدنى سوء.

وبالنتيجة، يعود المجتمع عقودا إلى الوراء، تتقوض معه المؤسسات "الحديثة" الهشة والمشوهة أصلا من وزارات وشرطة ونقابات ومسارح وثقافة مدنية ...إلخ، لصالح البنى القديمة من عشائرية وعائلية، فهي الآن من يوفر ملجأ للفرد من عسف الفصائل أو العشائر الأخرى، أو كليهما معا، خاصة وأن السلطة نفسها ليست محايدة، فهي طرف في المعركة، تنقسم أجهزتها في نصرة "فتح" أو "حماس" حسب ولائها السياسي أو المالي.

ما المطلوب؟ لست ادري، ولكن محاسبة المتسببين أمر لا بد منه، حتى وأن افترضنا – بسذاجة– أن تأجيج النعرات والعصبيات القبلية لم يكن في قصدهم، "فإن كنت تعلم فتلك مصيبة وإن كنت لا تعلم فالمصيبة أعظم".